تمهيد :

إذا كانت ظاهرت التفاعل بين الحضارات من المسلمات، فإن الناس اختلفوا في أصول المعارف وطرق تشابكها وتفاعلها بين الأمم والشعوب
والحضارة العربية الإسلامية استوعبت حصيلة الحضارات السابقة وهيمنت عليها وقد اصطدمت بالتراث اليوناني، وهي في عنفوانها، فتفاعلت مع معطياته وتصوراته في ضوء قناعتها وقيمتها الدينية وشروطها التاريخية والحضارية .

1 - الثقافة والفلسفة اليونانية :

أسهمت كل من الحروب بين العرب والروم، والرحلات والترجمة وغيرها من الأحداث في العصر العباسي ، في تقريب العرب بغيرهم من الأجناس الأجنبية وبالتالي معرفة أفكارهم وأساليبهم العلمية.

فهذه العوامل السابقة الذكر كانت بمثابة قنوات أدت إلى دخول التيارات الفكرية الأجنبية إلى البيئة العربية.
وربما كان أهم هذه التيارات هو التيار الفكري اليوناني، وذلك لأسباب عدة ومن أهمها قدم عهد الثقافة اليونانية، وهذا ما تطرق إليه طه حسين، عندما تحدث عن الفرس واليونان وأيهما أشد تأثيرا على العرب حيث يرى بأن تأثير الثقافة اليونانية على العرب قوي .

" لأن الثقافة اليونانية كانت قديمة في هذه البلاد منذ أيام الإسكندر في القرن الثالث قبل الميلاد، ولم ينتهي القرن الثاني قبل الميلاد حتى كانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية للشرق الأدنى " 1

1 –من حديث الشعر والنثر لطه حسين، دار المعارف ، مصر، ط ، 11، 2001، ص 46 – 47

ثم يتحدث عن انتشار مدارس يونانية في مصر وسوريا والعراق وفي كل بلدان الشرق الأدنى لتعليم الفلسفة والأدب وعلوم اليونان، وكان هذا كله قبل مجيء الإسلام، حيث يقول:

" وعندما جاء الإسلام وخرج العرب فاتحين، صادفوا تلك البلاد، وقد انبثقت فيها تلك المدارس اليونانية وقد تركزت في عقول المصرين والشاميين، والجزريين آثارا لا يمكن أن تمحى إلا مع الزمن" 1

قد تكون هذه الآثار الفكرية من العوامل التي سهلت عملية تقبل واهتمام العرب بالثقافة اليونانية في العصر العباسي، فقد يكون من الأدباء العرب القدماء من ترك آثارا تظهر تأثره بهده الثقافة .

ثم يروي لنا طه حسين المراحل التي مرت بها الثقافة اليونانية وما واجهها من أحداث فيقول :

" هذه الثقافة اليونانية التي استمرت في الشرق تسعة قرون، لم يقف أمرها على الشام والعراق، والجزيرة ومصر، بل هجمت على البلاد الفارسية نفسها، منذ عهد البطالسة في مصر والسلوقيين في آسيا وأخذت الثقافة اليونانية تنبت في الفرس حتى وصلت إلى أقصى الشرق في عهد الإمبراطورية الرومانية اشتدت الصلة بين اليونان والفرس وتعمقت الثقافة في بلاد الفرس .

" وعندما أصبحت المسيحية الديانة الرسمية، وأغلقت المعابد الوثنية، هاجرت الثقافة اليونانية إلى بلاد الفرس، فوجدت حماية ونصرا، ولقيت من ملوك الفرس كل تعضيد" 2

---

1 –المرجع السابق.

2 – المرجع نفسه ، ص 47 .

في هذه الفترة من نص طه حسين يبين لنا اهتمام الفرس بالثقافة والفلسفة اليونانية، كما يرى بأن العقل الفارسي كان شديد التأثر بهذه الثقافة ، مما يدعونا إلى الشك في ما جاءنا من الفرس من ثقافة قد يكون بعضه مصدره من اليونان.

فمثلا نجد " أن ابن المقفع زعيم الكتاب الفرس والعرب كان ذا حظ وافر من الفلسفة اليونانية، حتى قيل أنه ترجم آثار اليونان، ونحن نعلم أن لليونان أدبا فيه شعر وفيه نثرا وأن أدب هؤلاء اليونان كان يدرس في الإسكندرية وغزة وأنطاكية .

وكان الذين يختلفون إلى هذه المدارس يونان وآراميين وساميين ومصرين وفرسا، وكل هذا قبل أن تستقر الثقافة اليونانية في فارس " 1

إن ما بهمنا من كل كلام طه حسين هو معرفة تاريخ الثقافة اليونانية والمراحل التي مرت بها ومدى قدم هذه الثقافة وصمودها، ولعل هذا الكلام يؤكد لنا قوتها أيضا وذلك في تأثيرها على اللغة العربية، وكما نلاحظ من خلال هذا الكلام أيضا بأن الثقافة اليونانية كانت مصدرا أو منهلا لكل الثقافات الأخرى بما فيها الفرس إلا أننا عندما نتحدث عن الثقافة اليونانية وعن تاريخها، فهذا لا يعنى أننا ننكر تاريخ الثقافية الفارسية، بل للفرس أيضا ثقافة وحضارة وإذا دخلنا في مقارنة بين ثقافة الفرس وثقافة اليونان لا نخرج منها إلا بمجلد .

الثقافة والفلسفة اليونانية والأدب العربي :

عندما امتزجت الثقافة العربية بالثقافة اليونانية ، أصبحت الحياة العقلية كما يقول طه حسين معقدة ، فقد أصبحت تتألف من " عنصر عربي خالص في اللغة العربية، وما يتصل بها من أدب، وعنصر ديني، هو القرآن والتفسير والحديث...2

---

1 –المرجع السابق.

2 –من حديث الشعر والنثر، طه حسين ص 53

ثم عنصر يوناني خالص هو هذه الفلسفة اليونانية التي أخذت تتدفق على البلاد " 1

وجاء في نفس كتاب طه حسين أن " الكتاب في القرن الثالث قد تقسموا فنونا مختلفة وتخصص كل منهم فر فرع من هذه الفنون، فمنهم من تخصص في الفلسفة والكلام ومنهم من تخصص في اللغة والنحو، وقليل منهم من يجمع هذه الأشياء شيئا كثيرا " 2

وهناك من الشعراء من تحولوا إلى كتاب وذلك ما أكده طه حسين حيث يقول : " بل نرى أن هذه الحياة العقلية غلبت العقل العربي على الخيال العربي ورفعت شأن النثر على شأن الشعر، وأكثرت الكتاب وقللت الشعراء، فحرص الشعراء على أن يكونوا كالكتاب علماء أصحاب فلسفة وأصحاب تفكير فترى البحتري يؤلف وأبا تمام يؤلف، ولبن المعتز يضع كتابه في البديع..3

فهذا يدل على أن الثقافة اليونانية بما فيها من منطق فلسفي، قد قيدت حرية الشعراء مما دفعهم إلى الامتثال إلى العقل أكثر من العاطفة والخيال.

كما نستطيع القول بأن هناك نوع جديد من الشعر ظهر في العصر العباسي، فهو نوع أدبي جديد ظاهره نثر وباطنه شعر وهو ما يدعى الآن " القصيدة المنثورة " إن صح التعبير .

وقد اعتبر طه حسين رسالة " التربيع والتدوير " للجاحظ مثلا كافيا لإبراز مضمون هذا النثر، حيث يقول: فستجدون هذه الرسالة طويلة تبلغ نحو خمسين ومائة صفحة وهي من أولها إلى آخرها هجاء وهجاء لم يقصد فيه الجاحظ إلى الجد وإنما إلى الهزل... 4

---

1 –المرجع السابق.

2 –المرجع نفسه .

3 –المرجع نفسه .

4 –من حديث الشعر والنثر، طه حسين ، ص56 .

وهذا يعني لنا أن النثر أدمج غيه الشعر، أو استغل لإدخال غرض الشعر فيه فكان نتيجة ذلك هو وجود شعر بطريقة غير مباشرة.

يبدو أن الأدب العربي في العصر العباسي قد تأثر بالثقافة اليونانية، وكما هو معروف أن هذه الثقافة مشهورة بفلسفتها القوية التي تستعملها في جميع مجالات العلم وبالتالي كان نتيجة تزاوج هاتين الثقافتين أي العربية واليونانية أن كثر الكتاب وقل الشعراء، ولعل أوضح دليل على هذا هو ما قدم من حديث طه حسين بما فيه كلامه عن الجاحظ.

وبما أن الثقافة اليونانية تؤمن بفلسفتها وبخاصة المنطق وتقيم بينه وبين الأدب علاقة، فمن الطبيعي أن يشهد هذا العصر قلة الشعراء – مقارنة بالعصور السابقة – ولذلك فقد رفض نقاد العرب هذه العلاقة وتلك الصلة بين الفلسفة والأدب وبخاصة الشعراء وقد عبر عنها البحتري فقال :

كلفتمونا حدود منطقهم في الشعر يلغي عن صدقه كذبه

ولعل هذا البيت دال على إحساس هؤلاء الأدباء من شعراء وغير شعراء بسيطرة الثقافة اليونانية على الحياة الفكرية العربية .

ومن علوم اللغة العربية التي تأثرت بالفلسفة اليونانية نجد النحو، البلاغة، حيث شوهد تطورها في عهد العباسيين وبخاصة منذ بداية القرن الثالث هجرة فقد ظهر الاعتناء بالنحو من طرف أئمة جدد، كـــ : عبد الله بن أبي إسحاق، والخليل، وأبي زيد، وسيبوبة، والكسائي والفراء ...." 1

وبالتالي فقد مس فكر اليونان مختلف علوم اللغة العربية وآدابها، فنتج عن هذا تحول بعض الشعراء إلى ناثرين وتحول بعض من رواة التاريخ والأدب إلى نقاد أمثال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، وغبن سلام في طبقات الشعراء، وابن قتيبة في الشعر والشعراء.

---

1 –النحو الوافي ، لحسن عباس ،دار المعارف، مصر، ط 5، المقدمة ، ص 04 .

قراءة العرب والمسلمين للثقافة اليونانية في القديم :

وقف المسلمون على التراث اليوناني في مرحلة نهضتهم الأولى وكانوا في موقف يستدعي الإطلاع على تراث الآخرين حتى يتوسعوا بالضرورة في مجالات المعرفة، ويستثمروا منها ما يضمن لهم التقدم العلمي، ويحفظ للتراث البشري استمرارية، وإذا كانت المادة العلمية في الثقافة اليونانية قد ساهمت في توزيع المجالات المعرفية، فإن الجانب الفلسفي منها اتخذه الفلاسفة المسلمون منطلقا لتمرير ما كان يضطرب به المجتمع الإسلامي من تحولات وتوجهات. وفي ضوء هذا كان الاهتمام بالتراث اليوناني وكانت العناية بأرسطو خاصة، لغزارة إنتاجه في مجالات المعرفة، وباعتباره قمة الفكر اليوناني فقد عني به فلاسفة الإسلام وتعددت شروحهم لكتبه وتلخيصاتهم لها، أي تعددت قراءتهم لذلك تبعا لمشاغلهم الفكرية.

" وقد وجد القارئ في تلك النصوص مادة علمية يطور بها معرفته وأداته الحوارية ودون أن يتبناها أو يتقمصها، استطاع أن يمثلها ليوظفها في معالجة قضاياه ومشاغل مرحلته" 1

كما أن المترجمين قد شغلهم أرسطو بنصوصه على مستوى النقل والترجمة بإضافة إلى أنه قد شغل الفلاسفة المسلمين على مستوى الشرح والفهم كما يقول عباس ارحيلة في " فالنص الأرسطي شغل التراجمة على مستوى النقل والترجمة، وشغل جانبا من اهتمامات الفلاسفة المسلمين على مستوى الشرح والفهم " 2

1. الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، عباس بن أحمد أرحيلة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، سلسة رسائل وأطروحات رقم 40، مطبعة دار النجاح، الدار البيضاء ط1 ،1999.ص57.

2. المرجع نفسه.

ولكنهم لم يكتفوا بفهمه وتأويله وإنما سعوا في تمثيله واحتوائه ولم يغب عن أذهانهم أن النصوص التي يتناولها بالشرح والتحليل تنتمي إلى حضارة أخرى اندثرت، وإنهم في أوجهم قوتا، يستمدون وجودهم الحضاري من مبادئ التوحيد والنبوة والعدل والحق والحرية.

فصورة أرسطو تتشكل داخل الحضارة العربية الإسلامية مما ينسجم وأهدافها وثوابتها، فأرسطو عند العرب يتلون وفقا لأدوار الحضارة العربية ولهذا يخلق بالباحثين أن يتبعوا هذه الصورة المتعددة المتباينة وأن يقدروها وفقا للعوامل المولدة لها.

لأن الشعوب والأفراد لا يهمها أن تعرف أِسطو كما كان في واقع التاريخ بقد ما يعنيها أن تدركه كما تريد حاستها التاريخية المنبثقة من روح الحضارة التي تنتسب هي إليها وعلى أرسطو في الحالة التي لا يتفق فيها تاريخيا وأما في هذه الروح – أن يحني رأسه ويكيف نفسه وفقا لهذه الأماني " 1

والإحساس بحضور هذه القرارات هو ما جعل كثيرا من الباحثين لا يعثرون على بصمات أرسطو في جوانب من التراث العربي فيصابون بالخيبة ويردون ذلك إلى سوء فهم المسلمين لأرسطو.

ومن هنا نجد أن الفلاسفة المسلمين قد مارسوا قراءات تأويلية، فلم ينبهروا بالنصوص ولم يذوبوا في حناياها وهنا نجد الدكتور عباس أرحيلة يعطي مثالان لذلك :

الأول: " في علم النفس وأفكارا في الأخلاق والقانون ، لأن الفكر الغربي كان يبحث آنذاك عن تلك الأفكار في سبيل استكمال نهضته غير أن المسلمين لم يحسوا بضرورة نقل تلك الأفكار النفسية والقانونية والأخلاقية فقد وجدوا في تراثهم ما يغنيهم عن ذلك كله.

1 –المرجع السابق ، ص58.

فلا عجب أن تحل الأمثلة الدينية الإسلامية محل الأدبية التي أودعها أرسطو كتابة الخطابة " 1

أما المثال الثاني :

" أننا نجد ابن رشد في شرحه لكتاب " الشعر " لأرسطو يصادف أمثلة مجهولة لدى القارئ العربي آنذاك ولا تتلائم مع الجو الإسلامي الذي يعيش فيه قراءه ، يستبدل بهذه الأمثلة اليونانية نظائرها في الإسلام فيستشهد بشواهد من الفقه والتاريخ الإسلامي واللغة العربية " 2

فهذه قراءات انطلقت من الذات لتعبر عن مشاغلها، فتتأقلم مع الوافد لتعربة ويصبح الشرح كشفا عن ذات الشارح واحتواء للمشروع وبذلك يذوب المقروء في الذات القارئة حتى يصبح إشكالية ذاتية، وهذا ما لا حظه مصطفى الجوزو في أن المسلمين " حين طفقوا ينقلوا ينقلون عن اليونان حاولوا أن يعربوا اللغة فأسقطوا عليها أفكارهم وحملولها مفهوماتهم ..." 3

أرسطو داخل المناخ العربي الإسلامي :

اعترف المسلمون بعبقرية أرسطو وأشادوا به، واعتبروه عمدة الفلسفة والمنطق واصطلحوا على دعوته بالمعلم الأول وبالحكيم تقديرا لمكانته بين سائر الفلاسفة اليونان، ويحتل أرسطو المرتبة الأولى في اهتمامات الفلاسفة المسلمين. ونجد اسهابا في التعريف بسيرته وبمؤلفاته في الكتب التي تترجم الفلاسفة وتعني بعلاقة الثقافة العربية الإسلامية بغيرها من الثقافات الأخرى.جاء في التعريف بأرسطو عند قصي حسين في كتابه " النقد الأدبي عند العرب واليونان ...

---

1 -الأثر الأرسطي – عباس بن أحمد أرحيلة ، ص 38

2 -فن الشعر أرسطو طاليس ، ترجمة عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط 1953، ص 55، 56.

3 -نظريات الشعر عند العرب، مصطفى الجوزو، دار الطليعة، بيروت ط1، 1981 ، ص 114

يعتبر أرسطو بحق مؤسس علم النقد الأدبي وهو المؤثر الأعظم على جميع نقاد الأدب إلى يومنا هذا، ولد سنة 384 قبل الميلاد، والده " نيقوماخوس " كان طبيبا يعمل في (ستاجيروس) وهي قرية ستاجير في " خالكيديكي" بطراقيا، وه الذي اخترع الطب لليونان كما كان طبيب الملك " فيليبس" والد الإسكندر الأكبر وهذا ما جعله يتعرف من الكتب على الكثير من العلماء والشعراء والخطباء، مما أتاح له فرصة التوسع في فاق العلم والسياسة والأدب والإجتماع على حد سواء . 1

وتعددت الآراء حول أرسطو في كتب المؤلفين فهو عند ابن النديم :
" بليغ اليونان ومترسلهمم ... عالي المرتبة في الفليفة " 2 وهو عند صادع الأندلسي خاتمة حكامهم (اليونان) وسيد علمائهم ، وهو أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية ... حتى لقب بصاحب المنطق " 3

أما الفلاسفة المسلمون فقد عنوا بفلسفة أرسطو خاصة وكانت محطة أساسية من محطات اهتمامهم، وكان في مقدمة الفلاسفة اليونانيين الذين اهتموا بتراثه شرفا وتلخيصا .
فهذا ابن سينا يجد الفلسفة قائمة في غالب أمرها على العصبية لأرسطو وللمشائيين، وهو إن كان لا يبالي في كتابه " منطق المشرقين " أن يخالف كتب اليونانيين إلا أنه يقول : " مع اعتراف منا بفضل أفضل سلفهم " 4

---

1 النقد الأدبي عند العرب واليونان، معالمه وإعلامه، قصي الحسين، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ط1، 2003 ص 261 .

2 الفهرست ابن نديم ، مصورة بيروت، 1964 ص 45 .

3 طبقات الأمم، صاعد الأندلسي، تحقيق تحقيق حياة العيد أبو علوان ، دار الطليعة، بيروت ط 1 ، 1985، ص 45.

4 منطق المشرقين ابن سينا تقديم شكري النجار، دار الحداثة ، ط1 ، 1982، ص 19

أما ابن رشد فقد اتهمه ابن سبعين المتصوف الأندلسي (ت 669هـ) فقال : وهذا الرجل مفتون بأرسطو ومعظم له ، ويكاد يقلده في الحس ، والمقولات الأولى ، ولو سمع الحكيم يقول : إن القائم قاعد في زمان واحد ، لقال به واعتقده وأكثر تأليفه من كلام أرسطو :إما يلخصها وإما يمشي معها "1

و حكى ابن النديم أن أحد الأسباب في كثرة كتب الفلسفة أن المأمون (الخليفة العباسي)، رأى في منامه كأن رجلا أبيض اللون ، مشربا حمرة، واسع الجبهة ، وقرون الحاجب ....حسن الشمائل ، جالس على سريره ،قال المأمون : وكأني بين يديه قد ملئت له هيبة ، فقلت من أنت ؟ قال : قال أنا أرسطو طاليس؟ فسررت به وقلت: أيها الحكيم أسألك ؟ قال : سل ، قلت ما الحسن؟ ، قال ما حسن في العقل ، قلت قم ماذا ؟

قال: ما حسن في الشرع قلت ثم ماذا ؟ قال: ما حسن عند الجمهور ، قلت ثم ماذا؟ فكان هذا المنام من أو كد الأسباب ي إخراج الكتب ... 2

ويتساءل حسن حنفي عن سبب اختيار أرسطو من بين فلاسفة اليونان ولماذا اعتبر المسلمون أرسطو هو المعلم الأول دون أفلاطون وهو معلم أرسطو؟ والحقيقة أن هذا الاختيار لم يكن عشوائيا أو طبقا للمزاج الشخصي للفلاسفة المسلمين بل كان نتيجة لاتفاق مذهب أرسطو بين الواقع والمثال، الواقع في الطبيعة والمثال في المنطق، كما جمع بين الخاص والعام، بين المعرفة والسعادة، هذا الجمع هو الذي يميز التصور الإسلامي الذي جمع بين الدنيا والآخرة، بين النفس والبدن، بين الدين والدولة، بين الفرد والمجتمع .... كما أن مذهب أرسطو ... تسوده روح الواقعية ويعتمد على التجربة ...

---

1 -تمهيد في تاريخ الفلسفة الإسلامية ، مصطفى عبد الرزاق ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ط3، 1966 ، ص 41

2 -الفهرست ، ابن نديم ، ص 339

وأخيرا يقوم مذهب أرسطو على العقل وهذه أيضا نزعة إسلامية أصيلة ... والنقل الصحيح يوافق العقل الصريح كما يقول الفقهاء ...1

ويستفاد مما سبق أن الفلاسفة المسلمين قد وقع اختيارهم على أرسطو لأسباب منها:

1 -الرغبة منهم في تطبيق مذهبه الفلسفي

2 -اتخاذ آرائه وسيلة لإنشاء فلسفة ملئ بالعناصر الخاصة

3 -لأن منهجه التجريبي أدى موافقة العرب

4 -لأنه صاحب المنطق

5 -لقيمة المادة العلمية التي أنجزها

6 -لأنه نال مكانة في قصور الإسكندر

7 -لاتفاق مذهب أرسطو العام مع تصور المسلمين

أشكال التأثر والتأثير :

للفكر اليوناني عبقريته التي أثبتت وجودها في تاريخ الفكر البشري طيلة ما يربو على خمسة وعشرين قرنا، وقد التقى الفكر العربي بهذا الفكر أثناء نهضته العربية الأولى فنقله إلى لغته وعني بشرحه ودراسته، وأصبح الفكر اليوناني يشكل جزءا من بنية التفكير العربي، وكان للفلسفة اليونانية بصفة خاصة، ضمن اهتمامات الفكر العربي الإسلامي، حضور متميز، واعتبر بعض الباحثين هذا الحضور نسخا للفلسفة اليونانية، وكتابه لها بحروف عربية وحول مظاهر التأثر بين العرب واليونان في القديم، تضخم التساؤل في العصر الحديث وتقررت حقيقة التأثر وزاد هذا الإشكال حدة أن العرب والمسلمين أثناء مرحلة الاستعمار وقعوا تحت هيمنة الغرب ذي الجذور اليونانية.

1 -دراسات إسلامية ، حسن حنفي ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ،ط1، 1982، ص 115

وكانوا يطمحون إلى أن يكون لهم كيان ووجود لمقاومة تلك الهيمنة وتغذيها الإشكال الحديث في مجال دراسات الشعوب والتأريخ للحضارات القديمة وما أنجزته الدراسات الأنتروبولوجيا وعلم النفس ومناهج الأدب المقارن وغيرها.

فقد تبين أن مسألة التأثر والتأثير يطبعها التطرق والغلو، وأنها اكتسبت أحيانا حدة لم تخل من خلفيات إيديولوجية، بين من يحاول إثبات أصالة أمة وبين من يسعى في هدم تلك الأصالة هي البؤرة الحساسة في هذا الإشكال1

إذا فمسألة التأثر والتأثير حقيقية ثابتة مقررة لا جدال فيها ومن هذا المنطلق نحاول أن نوجز أهم الأسباب التي كانت بمثابة مولد لاحتكاك الثقافتين العربية واليونانية ليتمخض هذا التزاوج عن نتيجة التأثر والتأثير وذلك عن طريق:

أ -مسألة التفاعل بين الحضارات

ليست هناك حواجز بين العصور، ولا بين أفكار البشر فالأفكار تنتقل بين الأمم وتتسرب إلى سكان المعمورة، فتتشكل وتتأقلم.

وتنحل وتصفى ، فيبقى منها ما ينفع الناس، وما حصيلة الحضارة الإنسانية إلا مجموع تلك الأفكار وهي تتداخل وتتصارع وتتجاذب أخذا وعطاء، فكما جاء في قوله تعالى: " وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " 2 فإن الأصالة الخالة من شوائب التعارف لا وجود لها في الواقع وليس الإبداع خلق الأفكار من عدم.

1 -الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة، عباس أرحيلة ، ص64.

2 -سورة الحجرات الآية 13

بل الإبداع أن نضيف جديدا إلى ما تقدم " وهل مندوحة من احتكاك العقليات لتكوين الآثار التي يتاح لها أن تبقى على ممر العصور؟ إن العقل الكبير نتاج طبيعي لتلاقي الثقافات واختلاط الأجناس، وتفاعل الأذواق والأهواء " 1

فالعقل البشري يتلاقح بعقل غيره، ولا يضيره أن يفكر فيما فكر فيه غيره، فيسعى في أن يضيف إليه شيئا يجعله مباينا للسابق في منهجه وروحه.

وليست الأمة العربية الإسلامية بدعا بين الأمم، فهي لم تعش وحدها على الأرض بل إنها دخلت، منذ انطلاقتها الإسلامية في حوار حضاري مع شعوب لها ثقافتها وحمولتها الحضارية، ولم يحس الكيان الفكري للأمة العربية الإسلامية بالهوان والتدني وهو يتعايش مع ألوان الأفكار والثقافات .

ويقول أوليري في بداية كتابه " مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب "

هناك شبه قوي بين المدينة المرض المعدي، فكلاهما ينتقل من مجتمع إلى آخر بالمخالطة وكلما انتشر أحدهما خطر توا على بالنا سؤال عن المكان الذي أتى منه، وفي كليهما سؤال لم يجب عنه : هو أين يبدأ كل منهما، وهل لانتشاره دائما مصدر وبداية واحدة، أو مصادر وبدايات يستغل كل منهما عن الآخر ؟ " 2

إذا فالسابق يشكل مرحلة لها شروطها العامة التي تتجاذب معها، كما يشكل حصيلة التدربة الإنسانية في آفاقها المعرفية، ويأتي اللاحق ليطلع على تجربة السابق ويستفيد منها ولا يمكن له أن يفهمها ويتجاوزها إلا إذا أحسن تمثلها وأعاد إنتاجها في ضوء تصورات مختلفة.

---

1 عن الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة ، ص 64 .

2 مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب،أوليري نقله إلى العرب تمام حسن ، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ط1، 1957، ص 107 .

ويقول الجاحظ :

" ولو لا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها ... حتى شاهدنا بها ما غاب هنا، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا، فجمعنا إلى قليلنا كثريهم، وأدركنا ما لم ندركه إلا بهم، لقد خس حضنا في المحكمة، ولضعف سببنا إلى المعرفة، ولو لجأنا إلى قدر قوتنا، ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا لما تدركه حواسنا وتشاهده نفوسنا لقلت المعرفة، وسقطت الهمة وارتفعت العزيمة وعاد الرأي عقيما، والخاطر فاسدا، ولكل الحد وتبلد العقل " 1

وإذا كان التفاعل بين الحضارات حقيقة مقررة في قانون الحضارات، فإن كيفيات التفاعل وأساليب التحاور تظل في حاجة إلى الضبط والتدقيق، وفي حاجة إلى خبرة بروح الحضارات وما تتمايز به من اختلافات وخصائص.

ب -مسألة التأثير والاستمداد الثقافي :

إن معالجة التأثير اليوناني في الفكر العربي تقتضي فحص العلاقات الممكنة بين الفكرين بكل تجرد وموضوعية بعيدا عن غرور المركزية الأوربية وإعجابها المسبق بالمعجزة اليونانية، وبعيدا عن الانخداع بالمسلمات واعتماد الظنون والتخمين والتعميم .

وإن القول بفراغ هذا الفكر قبل اتصاله بالثقافة اليونانية وفرضية باطلة من الأساس كيفما أولنا معناها ومداها، وخطيرة في نفس الوقت لأنها أوقفت عددا من الباحثين والمفكرين في تاريخ الفكر الإسلامي عند حد ابحث عن الاتصال بينه وبين التراث اليوناني ومسايرة للنظرية العنصرية التي قال بها بعض المفكرين والمستشرقين الأوربيين وفي حق العرب وجاحدة كل ابتكار صادر عن هؤلاء 2

1 -الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، دار التأليف ، القاهرة ط3، 1968 ، ص 85 – 86

2 -الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة، عباس أرحيلة ، ص 69

ومما يزيد من صعوبة الإشكال لضبط فعالية التأثير بين التراث اليوناني والتراث العربي في مجال الدراسات والمقارنات 1

أ –أن العصر الذي انتقلت فيه المؤلفات اليونانية إلى العرب مازال يعتريه غموض

ب – أن الثقافة اليونانية التي اتصل بها المسلمون لم تكن واضحة المعالم، متميزة القسمات، بل كانت متشعبة المناحي معقدة التركيب .

ت – وأن التراث اليوناني في تعرب وتأسلم وتمت قرائته من خلال ثوابت العقيدة الإسلامية، وما عرفته الحضارة الإسلامية من تطورات، ولم تصدر تلك القراءة من موقف ضعف.

ث – أن التراث اليوناني لم يكن حضوره مكثفا إلا في المجال الفلسفي، ولم تكن آثاره سارية لدى أغلبية المثقفين.

ج –ثم إن الفلسفة اليونانية قد لقيت مقاومة عنيفة في المجتمع الإسلامي، كما سنرى في موقف المسلمين من علوم الأوائل .

ح –وأن ما استعمل منها اتخذ وسيلة لمقاومة تيارات هدامة كانت تريد الإطاحة بالإسلام والمسلمين وتم توظيفه في التوفيق بين حقيقة الوحي وحقيقة العقل

خ –وقد تعرض غزونباوم : " تأثر الأمم الإسلامية بمدينة الغرب ونظرية الاستمداد الثقافي " 2

1 –المرجع السابق.

2 –نفس المرجع ، ص 70

ودعا إلى معالجة موضوع الاستمداد الثقافي بكثير من الاحتياط والدقة في التحليل وعمل على مراجعة نتائج توينبي ، لأنه أهمل إهمالا تام أهم عامل يميز الاستمداد الثقافي التي قام بها المسلمون في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، وتلك التي قام بها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر، وذلك العامل هو الحالة السياسية المعكوسة فالإسلام لم يكن ذاك في ذاك موقف دفاعي ولكنه تبنى تلك الإمكانات الأجنبية لمصلحته هو، وفعل ذلك في تريث وآناة وغذا كان قد وقع تحت تأثير ضغط ؟ فلم يكن ذلك من الخارج ولكن بدافع مرحلة التطور التي كان يمر بها 1

وأما الاعتبار الأساسي الذي اعتمده غزونباوم في نظرية الاستمداد الثقافي فهو فإنه عادة ما تلجأ مدينة ما إلى الاستعارة حين تجد نفسها عاجزة بمواردها الخاصة عن أن تواجه معضلة ما، فعندما اتصل علم الكلام الإسلامي البسيط بالنظم اللاهوتية المعقدة للأمم المجاورة والمفتوحة، احتاج الأمر إلى نظام من الفكر المنطقي 2 وغرونباوم لا ينفي مسألة التأثير هنا، غير أنه يرى أن تلك المسألة لا تتم إلا حين تواجه مدينة ما معضلة ما، وأن التأثر الأجنبي لا يستلزم بالضرورة تغيرا في القيم الأساسية. 3

مسألة التأثير وحركة الترجمة :

تعتبر حركة الترجمة من أهم العوامل المساعدة في تأثر أدب مجتمع بثقافة مجتمع آخر، والترجمة التي تهمنا هنا هي التي تعني بالنقل عن اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية والتي تهتم بنقل أفكار الشعوب وحضاراته خلال ما يكتبه أصحاب الفكر في مختلف أنحاء العالم وفي مختلف المجالات الفكرية

1 –عن الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة،ص 78.

2 –المرجع نفسه ، ص 188.

3 –المرجع نفسه ، ص 192.

ونظرا لأهمية هذه الحركة الثقافية وأثرها على الفكر العربي، كان لزاما علينا أن ندرس هذه العملية دراسة كافية.

فلقد لعبت الترجمة وبخاصة في العصر العباسي دورا هاما في نقل التيارات الأجنبية إلى البيئة العربية .

أ -نشأة الترجمة :

هناك محاولات فردية قبل العصر العباسي مهدت الطريق لظهور حركة الترجمة ظهورا صحيحا كمما تشير إلى أن أول عملية نقل ممن لغة أجنبية إلى اللغة العربية في الإسلام كانت بفضل خالد بن زيد بن معاوية 85 هـ 1 الذي حاول أن يعوض فشله في الوصول إلى الخلافة بدراسة كتب الصنعة، بغية اكتشاف سر تحويل المعادن إلى ذهب، بفعل الكيمياء، فأمر بإحضار جماعة من الفلاسفة اليونان الذين وفدوا إلى مصر وتعلموا اللغة العربية .

ثم طلب منهم أن ينقلوا بعض كتب الصنعة (الكيمياء) من اللغة اليونانية والقطبية إلى اللغة العربية، كما يعد خالد بن زيد من أوائل المترجمين حتى استحق بذلك لقب " حكيم آل مروان "

وهناك محاولات أخرى من هذا النوع كانت فردية ولم تتخذ شكل حركة عملية منظمة تشرف عليها الدولة، وتضع كل إمكانياتها في خدمتها وبخاصة منذ عهد المنصور، وكذلك كان الحال بالنسبة للخلفاء العباسيين الآخرين الذين اهتموا بها كالرشيد والمأمون والمتوكل ...

1 -التيارات الأجنبية في الشعر العربي، عثمان موافي، دار المعارف الجامعية- الأسكندرية، ط 2،1991 ، ص .113.

ب- مراحلها :

جاء في كلام عثمان موافي عن الترجمة بأنها قد مرت بمراحل وأدوار حتى أثمرت ثمارها اليانعة ويذكر بأن أحمد أمين قد قسم ذلك إلى ثلاث أدوار وهي كالتالي :

الدور الأول: من خلافة المنصور إلى آخر عهد الرشيد أي من 136 إلى 193 هـ وقد قام بالترجمة في هذا الدور مترجمة مستقلون بقدر كبير من الترجمة، وأكثرهم من المسحيين، واليهود، وغيرهم ممن دخلوا الإسلام من أهل الديانات الأخرى 1

الدور الثاني: من عهد المأمون إلى نهاية القرن الثالث هجري أي من 189 إلى 300 هـ ، وهنا تركز العمل في الترجمة بمدرسة أسست في بغداد (215، 217 هـ) ووضع رأس على المترجمين بها يوحنا بن ما سويه، كان حنين الشاب أنشط من فيها من المترجمين، وبعد خمسة وعشرين سنة تقريبا، جدد الخليفة المتوكل هذه المدرسة وجعل حنينا رئيسا لها، وأهم ما أخرجته هذه المسألة من آثار، كان على يد تلاميذ يوحنا ماسويه(243 هـ) وخلفائه، ولا يسما حنين ابن إسحاق العبادي، وترجم حنين اقليدس أجزاء وأجزاءا مختلفة من جاليونس، وبقراط وأرشميدس، كما ترجم قوانين الجمهورية وثيماووس لأفلاطون والمقولات والطبيعيات، والأخلاق الكبرى لأرسطو .. 3

الدور الثالث: من بداية القرن الرابع إلى منتصف القرن الخامس الهجري تقريبا .

---

1 -تاريخ الفلسفة العربية، جميل صلبيا ، دار الكتب اللبنانية بيروت، د، ت، ط، ص 107، 111 .

2 -التيارات الأجنبية في الشعر العربي، عثمان موافي ، ص 117

أ -أشهر المترجمين في العصر العباسي:

كان السريان يتحملون العبء الأكبر من حركة الترجمة وبخاصة عن اليونانية، يقول نيكلسون وكما عمل الترجمة يقتصر برمكته على السريان، إذا ترجمت كتب أرسطو وغالين وبطلميوس وغيرهم من الأساتذة القدامى، بأمانة متناهية في صوامع الشام والعراق ...1.

فمن خلال هذا الكلام يتضح لنا أن عملية الترجمة قد اختص بها الأعاجم وبخاصة السريان وبأنها لم تكن عملية سهلة ولا في متناول الجميع لأنها تعتمد على الدقة والعناية. فقد كان السريان يواصلون نشاطهم في حركة الترجمة عن اليونانية ومن أهم هؤلاء التراجمة السريان :

يوحنا بن ماسويه: 243 هـ كان مسيحيا، قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة، ووضع تحت إمرته بعض الكتب لمساعدته في هذه المهمة وبقي في وضعيته حتى عهد المتوكل يوحنا البطريق: كان مولى للمأمون، وأمينا على الترجمة، بيد أنه كان بطيء اللسان في العربية ومع هذا ترجم الكثير من كعتب الأوائل . 2

حنين ابن إسحاق: 260 هـ الذي كان ملما باللغتين العربية واليونانية، وفصيحا فيهما " كما أنه درس على الخليل بن أحد مما مكنه من التطلع للغة العربية ويقال بأنه هو من أدخل كتاب العين إلى بغداد، ووكل إليه أمر الترجمة في عصره ووضع تحت إمرته كتابا كانوا يترجمون... وكان هو يقوم بمراجعة ماترجموه 3

وهو الذي أوضح معاني بوقراط، وجالينوس، ولخصها أحسن تلخيص وأنسل ولدين: داود وإسحاق فأما إسحاق فخلفه على الترجمة وتولاها فأتقنها وأحسن فيها...4

---

1 -تاريخ الأدب العربي العصر العباسي، نيكلسون، ترجمة صفاء خلوصي، ط2011، ص 255.

2 -طبقات الأدباء والحكماء ابن جلجل ص 65.

3 -المرجع نفسه ،نفسه ، ص 67 .

4 -الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام، عبد الرحمن بدوي ،مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، ج.1 ،1954، ص 23.

وكانت نفسه أميل إلى الفلسفة وهو الذي ترجم كتاب النفس للفيلسوف أرسطو طاليس وأما داود فإنه كان طبيبا 1

ب- مواضع الترجمة :

بدأت حركة الترجمة منذ عهد المنصور بالاهتمام بالجانب العلمي بحيث نجد أن أغلب الكتب المترجمة في ذلك الوقت كانت في الطب والكيمياء والنجوم ... ولكن سائر العلوم العقلية لم تترجم إلا في عهد المأمون.

ومن هذا فإن الترجمة في العصر العباسي تنقسم إلى قسمين ممن ناحية نوع المواضيع المترجمة فالقسم الأول أول مرحلة الأولى تهتم بالمواضيع العلمية أما في المرحلة الثانية فقد اهتمت بالمواضيع الفكرية الثقافية .

كان للترجمة دورا في انتشار الحكم والقصص وغيرها من الهنود خاصة " فقد أخذت كتب الأسمار والخرافات التي تسربت إلى العربية مثل كتاب كليلة ودمنة الذي هو عبارة عن مجموعة من القصص ذات مغزى خلقي، تقال على ألسنة بعض الحيوان كالطير، وإضافة إلى كتب أخرى، ككتاب سندباد الكبير، وسندباد الصغير، وأدب الهند والصين ككتاب هابل في الحكمة وكتاب ملك الهند القتال والسياح وكتاب شاناق في التدبير وكتاب بيدبا في الحكمة ... 2

إن الحديث عن الترجمة في مجال القصص خاصة إذا تعلق الأمر باللغات الهندية والفارسية طويل ... لكن ما يهمنا هنا هو ما اهتم به المترجمين فيما يتعلق بالكتب العقلية والفكرية، وما حملته إليهم ثقافة اليونان.

---

1 المرجع السابق.

2 تاريخ التمدن الإسلامي ، جورجي زيدان ، مؤسسة هنداوي، مصر، ج3 ،2012، ص 157 .

بدأ الاهتمام بهذا النوع من الترجمات مع بداية خلافة المأمون 198 هـ وانتهى بنهاية القرن الثالث هجري حيث ترجمت هذه الفترة معظم كتب الفلسفة والمنطق، والمنسوبة إلى أرسطو بخاصة .

وقد كانت مؤلفات أرسطو كما يقول أوليري : " معرفة في الترجمات السريانية وكانت معها تعليقات وتلخيصات، كتب بعضها بالسريانية، وترجم بعضها الآخر من الإغريقية ولكن المادة الأرطوطاليسية كانت محصورة في مبدأ الأمر في المؤلفات المنطقية، ولم يكن إلا بعد موت هارون الرشيد بزمن ،أن شرع العرب في اختيار جدي لفلسفة أرسطو1

فمن خلال هذا نرى بأن معلومات حصل عليها العرب عن أرسطو من المصادر السريانية، كانت مقصورة على مؤلفاته المنطقية، ومجموع هذه المؤلفات يشتمل على: المقولات ، الشروح التحليلات الأولى، والتحليلات الثانية، والمباحث والسفسطة والخطابة والجدل، وقد ذكر ابن نديم هذه المؤلفات في فهرسته بأسمائها اليونانية وأعطانا بيانا إحصائيا بها فقال: " وهي ثمانية: فاطيفورياس: معناه المقولات، باريإرمانياس: معناه العبارة، أنالوطيقا: ومعناه تحليل القياس أبو دقطيقا، وهو أنالوطيقيا الثاني ومعناه : البرهان وأطوقا ومعناه: الجدل، وسوفسطيقا ومعناه: المغالطين، أرريتوريقا ومعناه: الخطابة ، لأبوطيقا ويقال بوطيقا ، ومعناه الشعر 2

وقد ترجمت أكثر من هذه المؤلفات إلى السريانية ومنها إلى العربية في هذه الفترة على يد جنين ابن إسحاق وابنه إسحاق وغيرهما من المترجمين

"ويقول ابن نديم (الكلام على قاطيفورياس : بنقل جنين ابن اسحاق، الكلام على باري أرمانياس: نقل حنين إلى السريان، وإسحاق إلى العربي ، والكلام على أنالوطيقا الأولى نقله تيادروس إلى العربي

1 –مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب أوليري، ص 229

2 –الفهرست ابن نديم ، ص 347.

ويقال عرضه على حنين فأصلحه، الكلام على أبو ريطتيقا : وهو أنالوطيقا الثاني، مقالتين، نقل حنين بعضه إلى السرياني ، ونقل إسحاق الكل إلى السرياني ونقل يحي ابن عدي، الذي نقله إسحاق الكل إلى طوبيقا : نقل اسحاق هذا الكتاب إلى السرياني ونقل يحي بن عدي ،الذي نقله إسحاق إلى العربي، ونقل الدمشقي منه سبع مقالات، ونقل إبراهيم ابن عبد الله الثامنة ، وقد توجد بنقل قديم، الكلام على سوفسطاقيا: ومعناها الحكمة نقله على ريتوريقا: ومعناه الخطابة يصاب بنقل قديم، قيل أن اسحاق نقله إلى العربي ونقله ابراهيم ابن عبد الله، فسره الفارابي أبو نصر، رأيت بخط أحمد بن أبي الطيب هذا الكتب نحو مائة ورقة بنقل قديم، الكلام على أبوطيقا، ومعناه الشعر، نقله، أيبو بشير ابن متى من السرياني إلى العربي، ونقله يحي ابن عدي1

ما نلاحظه ونستخلصه مما سبق من كلام ابن النديم هو الآتي:

1 -أن عملية الترجمة صعبة تمر بمراحل كأن نعرض على الآخرين من العلماء ثم تصحح وتنقل ويعاد نقلها من لغة إلى أخرى.

2 -أن حنين وابنه إسحاق قد قاما بترجمة معظم الكتب لهذا يعد من أهم المترجمين السريان في العصر العباسي، حيث بلغت الترجمة قمتها على يديهما .

3 -أن عملية الترجمة تضافرت فيها الجهود الأعجمية والعربية أيضا ...

نجد أن معظم العلوم والمعارف التي دخلت الفكر العربي، وبخاصة عن طريق الترجمة، مصدرها اليونان، سواء كانت منقولة عن السريانية، أو عن غيرها من اللغات الأجنبية، كالفارسية والهندي.

---

1 -تاريخ الفلسفة في الإسلام ديبور، ترجمة وتحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، ط 1998 ص 115 .

يقول دي بور" تهيأت لمفكري الإسلام من حكمة الشرق ومن تنجيمه، ومن معارف الكونية، مادة متنوعة ، ولكن الصورة التي صيغت فيها هذه المادة والمبدأ الأساسي في بنائها مصدرهما اليونان .... " 1

ويقول ماكس مايرهوف: " معلوم أن دراسة الطب، والفلسفة ، خصوصا دراسة كتب بقراط وجالينوس ومنطق أرسطو دخلت من الإسكندرية إلى الإمبراطورية الفارسية الساسانية قبل ظهور الإسلام بزمن طويل "

نلاحظ وجود عائلات تبنت الترجمة وعملت على حمايتها فكان هؤلاء السريان، التراجمة يترجمون بعض الكتب اليونانية المختصة في المنطق وأخرى في الطبيعيات والإلاهيات، وغيرها من اليونانية إلى السريانية أولا ثم إلى العربية وإما بنقل ما كان منها مترجما بالسريانية إلى العربية، ومن ثمة هذه المترجمات العربية، التي قاموا بها عن السريانية، تعد في حقيقتها ترجمات أين نجد الدقة والأمانة اللازمة ...

إلى جانب هؤلاء كان هناك تراجمة آخرون أسهموا في الترجمة عن اللغات الأجنبية الأخرى كالفارسية، نذكر منهم على سبيل الذكر فقط " ابن المقفع وآل نبخوت موسى ويوسف أبناء خالد التميمي، والحسن بن سهل والبلاذري، وجبة بن سالم وإسحاق ابن يزيد 2

وهناك من اختصوا بنقل عن الهندية إلى العربية مثل " منكة الهندية، وابن دهن الهندي 3

---

1 –عن التيارات الأجنبية في الشعر العربي، عثمان موافي، ص 127.

2 –الفهرست، ابن نديم ، ص 341 – 342 .

3 – المصدر نفسه، ص 342 .

عندما نتحدث عن أشهر المترجمين نجد السريان دائما في مقدمتهم ترى لماذا السريان دون غيرهم ولما اهتموا بالمؤلفات اليونانية أكثر ؟
والجواب على هذا السؤال يكمن في أن هؤلاء السريان قد اهتموا بالكتب اليونانية وبترجمتها قبل الإسلام ثم واصلو نشاطهم بعد الإسلام ، فأخذوا ينقلون ما ترجموه من لغتهم إلى العربية ، مما سهل عليهم المهمة التي كلفوا بها في العصر العباسي وهذا ما استخلصتاه من خلال كلام عثمان موافي.

بين الحضارة الإسلامية والحضارة اليونانية

إن الحضارة العربية الإسلامية كانت متفتحة على معطيات الحضارات السابقة بصرف النظر عن مصدرها إلا أن الملاحظ في التأريخ للحضارات أن الفكر الغربي ركز خاصة على تأثير الفكر اليوناني في الحضارة العربية الإسلامية وذهب في تصور هذا التأثير مذاهب شتى ولقد تم التركيز على هذه العلاقة بين الحضارتين لأسباب عدة منها 1

أ -أهمية التراث اليوناني في تاريخ الفكر الإنساني ، فقد كان له شموخه في مجالات المعرفة ، وكانت له هيمنته على الكثير من الأفكار .

ب -إن المنابع الأساسية للحضارة الغربية الحديثة ترتبط بالتراث اليوناني الذي يمثل مرجعية لتلك الحضارة .

ت -حضور التراث اليوناني داخل التراث العرب الإسلامي عن طريق الترجمة والشروح والتفسير .

1 -الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين – عباس ارحيلة ، ص 41-42

ث عناية الفكر الغربي الحديث بدراسة الحضارة العربية الإسلامية ، وقد كانت له إنجازات ضخمة في هذا المجال .

ج هذه البحوث التي أنجزها علماء الغرب حول التراث العربي الإسلامي كانت متأثرة في مجملها بدوافع أهمها :

- نزوع صليبي مترسب يحمل كراهية للظاهرة الإسلامية.
- نزوع تبشيري يهيئ النفوس للاستغلال ، ويضع حدا لانتشار الإسلام.
- نزوع استشراقي يدرس تراث الشرق ويساهم في المسح المعرفي للمناطق المستعمرة قصد اكتشاف مكوناتها وخصائصها .
- أثناء التعرض لمجال الفكر الإسلامي عامة نجد أن البحث عن الأثر الإغريقي في ذلك الفكر ظل زمنا طويلا هو الموجه لدلك البحث.

ونجد الذين لامسوا المقارنة بين العرب واليونان قديما 1 وحديثا قد انتبهوا إلى التباين الموجود بين روح الحضارة اليونانية وروح الحضارة الإسلامية، وأهمية هذه المقارنة تمكننا من معرفة جوهر الحضارة الإسلامية، فيكون ذلك بمثابة اختبار لأصالتها، وتحديد لخصوصيتها وإن وضع هذه الحضارة وجها لوجه أما المعجزة اليونانية، من شأنه أن يوضح لنا ما تتوفر عليه حضارة الإسلام من مقومات ذاتية، حصانة روحية.

1 -البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ج 3، 1968، ص 14- 27

فالحضارة اليونانية اعتمدت فلسفة وثنية تصدر عن العقل لا عن الوحي، وتقيم عقيدة على فكر بشري، فما كان في ربوع اليونان دين منزل من السماء تاجا إليه مهتدية مسترشدة فابتجع القوم مجتمعنا من آلهة اقتسمت فيما بينها السادة على شتى قوى الطبيعة ومختلف نشاطات البشر وهواياتهم وعواطفهم، وسيطر كل إله على دائرة اختصاصه يتصرف في شؤونها وفق ميوله وأهوائه 1

وإذا كان أدب اليونان قد نشأ في كنف هذه التصورات الوثنية، فإن الفلسفة اليونانية، في تحولاتها ظلت في صراع مع تلك التصورات، حتى انتهت إلى تحرير العقل من الخرافات الوثنية، وعندما صنعت وثنا جديد ألهتخ، وأخذت تثبت به وتفكر إنه العقل وروح الحضارة اليونانية يختزلها على سامي النشار في:

" قداسة النظر، سادة وعبد، الوثنية المطلقة ، قدم المادة ، إله باهت أو غير موجود ...انعدام النظر في الخلق... 2

ليس هناك إلا الهيولي صورة الإله الباهت سواء كانت عنصرا أول أو مثال الخير أو المحرك غير المتحرك، النظرة المتشائمة التي تشيع في التراجيديا اليونانية، عبادة الجنس والنوع... وتصطرع اليونانية حتى يظهر العقل من حيث هو منعكسا على ذاته وبذاته، منطلقا إلى آفاق أخرى، ويضع منطق الماهية منطلقا إلى آفاق الكينونة الأولى معبرة عن روح اليونان الحقيقية 3

فإذا رأينا روح الحضارة الإسلامية لا تأخذ من الحضارة اليونانية إلا ما ليس بمقوم جوهري لهذه الحضارة والأخيرة، إذا رأيناها تأخذ عنها العلوم العلمية التي هي قدر مشترك بين الناس جميعا على اختلاف أجناسهم وحضاراتهم ولا تتأثر بطبيعة واضعيها ولا تتغير روح الحضارة التي نشأة أو نمت فيها...

1- عن الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة ص 43.

2 -مناهج البحث عند مفكر الإسلام، علي سامي النشار، دار المعارف، القاهرة، ط4 ، 1978 ص 17

3 -المرجع نفسه.

4 -عن الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة ص 44

بينما هي لا تأخذ عنها العلوم الروحية أو الفنون أو إن هي أخذت بشيء من العلوم الروحية، لم تستصغ إلا الجانب الذي تراه هاما غير مميز للروح اليونانية 1

وإذا رأينا الاتجاه العام لروح الحضارة الإسلامية ينفر نفورا شديدا من التراث اليوناني فيحمل عليه حملة شعراء، هي فصل قوى لهذه الروح ضد حضارة أخرى شعرت بما بينها وبينها من تباين يكاد يصل إلى حد التناقض 2

وقد لاحظ عبد الرحمان بدوي أن الروح الإسلامية لم تأخذ من التراث اليوناني إلا العناصر الدخيلة على الروح اليونانية الخالصة، ونعني بها تلك العناصر الشرقية التي مزجت بعناصر يونانية فكأنها لم تأخذ إذا شيئا مما يميز الروح اليونانية الحقيقية ويطبعها بطابعها الخاص وإنما هي استعادة ما أخذته منها الروح اليونانية وفي هذا تعليل واضح للنجاح الهائل الذي لقيته الأفلاطونية المحدثة في العالم الإسلامي... 3

فأرسطو اليوناني لم تستطع الروح الإسلامية أن تهضمه فاستعانت على هضمه بالأفلاطونية المحدثة التي هي مزيج، نصيب الروح الشرقية فيه أكبر من نصيب الروح اليونانية 4

ثم إن الحضارة الإسلامية حين تواجه التراث اليوناني، تواجهه وهي محملة بمقومات جوهرية تحدد هويتها ومقاصدها وتصوراتها للوجود .

---

1 -المرجع السابق ص 44

2 -عبد الرحمان بدوي "مقدمة " ضمن بيكر وآخرون: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ص 9 .

3 -التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، عبد الرحمان بدوي، ص 27 ، عن الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة ص 44

4 -نفس المرجع ، ص27 .

" وقد لاحظ محمد عابد الجابري الاختلاف الجذري بين بنية الفكر الإسلامي وبنية الفكر اليوناني، فالثابت الأساسي في بنية الحضارة اليونانية هو لا شيء من لا شيء، وفلاسفتهم سواء كانوا مثاليين أو ماديين ينطلقون كلهم من هذا الثابت الأساسي أي من فكرة قدم المادة أما الدين الإسلامي الذي هو امتداد لدين إبراهيم وموسى، فإن فكرة " الخلق من شيء ثابت أساسي فيه لا يمكن الاستغناء عنه وإلا انهارت البنية الدينية كلها، وهذا ما أدركه الغزالي فيما بعد حينما حلل بنية الفكر اليوناني واكتشف ثابتها الأساسي، وإذا فنحن أمام بنيتين مستقلتين لا يمكن إرجاعه إلى أصل واحد، أو إلى أصول مشتركة وعندما يكون الأمر على هذا الشكل يصبح تمرير عنصر من البنية الأولى إلى البنية الثانية يتطلب إحداث تعديل في مضمونه، وتلوينه بلون المنقول إليها، أي قراءته قراءة جديدة مستوحاة ممن العام الذي نقله إليه "1

مما سبق نستنتج أنه ذا كانت الروح اليونانية قد صاغها فلا سفتها الكبار فعن الروح إسلامية قد استنارت بهدي السماء وبما استلمه المسلمون من ذلك الهدي وقد كان لها من القدرة على التفاعل مع أنماط الفكر البشر وفي ضوء مقوماتها ومؤهلاتها، ما يعطها هويتها وتميزها فقد استطاعت أن تخضع تجارب الأولين لما ترتضيه نهجا حضاريا يتم به تكريم بني آدم فقد تمثل العرب والمسلمون المأثور التاريخي وأعادوا إنتاجه، وتعمقوا مأثورهم الديني فربطوه بالحياة، وعالجوا ذلك التناقض بين العقل والإيمان وهو تناقض زادت حدته اليوم مع تقدم العلم .

1 –نحن والتراث، محمد عابد الجابري،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 6، 1996،ص 67 – 83.